بينهما معاهدة أخرى فى سنة ١٨٩٩ على أثر حادثة فاشودة المشهورة وفيها تنازلت فرنسا عن دعاويها فى أعالى النيل؛ وأخيراً عقد «الاتفاق الودى» بين الدولتين فى سنة ١٩٠٤، وفيه تعهدت فرنسا بأن تطلق يد انكلترا فى مصر وألا تناوئ سياستها فيها؛ وتعهدت انكلترا من جانبها أن تطلق يد فرنسا فى مراكش وألا تناوئ سياستها فيها

وثارت بين ألمانيا وفرنسا من أجل مراكش خصومة مضطرمة كادت أن تنفجر غير مرة؛ وكانت فرنسا تحرص على أن تضم مراكش إلى امبراطوريتها الافريقية، وتحرص ألمانيا من جانبها على أن تضع فى سبيل فرنسا كل عقبة ممكنة؛ وفى سنة ١٩٠٥، زار الامبراطور ولهلم الثانى ثغر طنجة وألقى خطاباً رناناً حمل فيه على السياسة الفرنسية؛ واضطرت فرنسا أن تقبل بحث المسألة المراكشية فى مؤتمر دولى؛ وعقد المؤتمر فى الجزيرة (باسبانيا) سنة ١٩٠٦ من الدول الكبرى؛ وأصدر قراراً باعلان استقلال السلطان، ووجوب المحافظة على وحدة الأراضى المراكشية، مع الاعتراف بحقوق اسبانيا وفرنسا ومصالحهما الخاصة فى هذه المنطقة. ولم تغنم ألمانيا شيئاً. وفى سنة ١٩١١ جردت فرنسا حملة على فاس، وانتهزت ألمانيا هذه الفرصة فأرسلت سفينة حربية إلى أغادير، ووقعت بين الدولتين مشادة حادة كادت تنتهى باضطرام الحرب بينهما؛ ولكن الخلاف انتهى بعقد معاهدة اعترفت فيها ألمانيا بحقوق فرنسا فى مراكش مقابل مزايا استعمارية كبيرة فى إفريقية الوسطى. وعلى أثر ذلك انتهزت فرنسا الفرصة وعملت على ارغام مراكش على قبول حمايتها بمعاهدة عقدت مع السلطان فى سنة ١٩١٢

أما إيطاليا، وهى رابعة الدول الاستعمارية الكبرى التى اشتركت فى اقتسام أفريقية، فكان نصيبها طرابلس فى الشمال، وارترية وشطراً من بلاد السومال فى الشرق. وسنعرض فى فصل قادم إلى تفصيل هذه الغزوات الاستعمارية، وسنعرض بوجه أخص إلى موقف الحبشة من هذه الحركة الأوربية الاستعمارية الشاملة وكيف نجت من عواقبها، واستطاعت أن تحتفظ باستقلالها إلى يومنا؟

للبحث بقية (...)

٣ - الشعر*

فى صدر الإسلام وعهد بنى أمية

بقلم احمد حسن الزيات

٢ - خصائص الشعر فى العراق

أما الفرزدق فهو كالأخطل فى الذؤابة من قومه، إلا أنه كان صريح العداوة فلا يوارى، فاحش الدعابة فلا يحتشم، شديد الدعارة فلا يتعفف، حاد البادرة فلا يتلطف؛ فهو فى هجائه يذكر العورات ويعلن المخزيات بألفاظها العارية وأسمائها الصريحة حتى ليستحى الشاب أن ينشدها، بَلْهَ الفتاة الخفِرة. وما أظن البداوة وضيق الخلق وسلاطة اللسان وفجور النفس هى كل الأسباب التى أوجدت هذا الهجاء السوق الوقح، فان الحطيئة ومن سبقه على اتصافهم بهذه الأوصاف لم يُسفّوا هذا الاسفاف، فلابد أن يكون لحياة العراق فى ذلك العهد أثر قوى فى ذلك: فالخلق العربى القوى قد وهت أواصره باتصال البدو بالحضر واختلاط العرب بالعجم، والوازع الدينى قد ضعف بتغلب الأحزاب وضعف العصبية، والسلطان السياسى يغمض جفنيه ويضحك ملء شدقيه من هذه المهازل التى يمثلها الشعراء والقبائل بالبصرة. أقول القبائل لأن القبيلة كانت من وراء شاعرها تحتال لانتصاره بالمال والقتال والدعاية، وربما أتى كل رجل منهم بالبيتين والثلاثة فيرفد بها الشاعر كما فعلت تيم فى مهاجاة شاعرها عمر بن لجأ لجرير. وكان أفحش الهجاء هجاء الفرزدق فى جرير، فهو يرى قومه بضعة النسب، وضعف الحيلة، واتخاذ الغنم، ورعى الابل، وإتيان الأتن، ويفتنُّ فى هذه المعانى افتنانا عجيبا: يرددها فى كل قصيدة على صور مختلفة وأساليب شتى، ولا يتحرج أحيانا من افتعال الحوادث المضحكة إمعانا فى السخر من المهجو والنيل منه

وهذا غاية ما وصل إليه المهاجون وأهل التنادر فى عصور

* من الطبعة الجديدة لكتاب تاريخ الأدب العربى الذى صدر حديثاً

الترف والخلاعة . وأدهى من ذلك أن يقذف خصمه بنوع من السباب الدنىء الذى لا يعتقده ولا يصدقه الناس ، إنما يعمد إليه مبالغة فى التحقير والتشهير على نحو مايعمل الرعاع فى الطبقات الوضيعة ، وذلك مالم نعهده فى الهجاء من قبل ، إذ كان الشاعر يرى جهة المحاسن فى المرء فيمدح ، أو جهة المساوىء فيه فيذم ، وهو فى كلتا الحالين صادق

وقد يتدلى الفرزدق فى الهجاء إلى الدرك الذى لا تسيغه رجولة ، فينقض رثاء جرير[1] لامرأته بهجائها القذع ، دون أن يرعى للميت حرمة ولا للمرأة كرامة ، كقوله :

كانت منافقة الحياة وموتها ... خزى علانية عليك وعار
فلئن بكيت على الأتان لقد بكى ... جزعاً غداة فراقها الأعيار
تبكى على امرأة وعندك مثلها ... قعساء ليس لها عليك خمار
وليكفينك فقد زوجتك التى ... هلكت موقعة الظهور قصار
إن الزيارة فى الحياة ولا أرى ... ميتاً إذا دخل القبور يُزار

ورأىُ الفرزدق فى المرأة يدل على جفاء طبع وسوء أنفة ، وربما دل أيضاً على منزلتها فى المجتمع العربى فى ذلك العهد ؛ ولا نستنبط ذلك من قوله فى زوجة جرير ، فقد يكون للخصومة بعض الأثر فى سوئه ، وإنما نستنبطه من قوله فى زوجته هو حين ماتت :

يقولون زُر حدراء والترب دونها ... وكيف بشىء وصله قد تقطعا
ولست وإن عزت علىّ بزائر ... تراباً على مرموسه قد تضعضعا
وأهون مفقود إذا الموت ناله ... على المرء فى أصحابه من تقنعا
يقول ابن خنزير بكيتَ ولم تكن ... على امرأة عينى اخال لتدمعا
وأهون رزء لامرئٍ غير عاجز ... رزية مرتج الروادف أفرعا

على أن طبيعة المهاجاة مع جرير ، وشهوة الغلبة عند العامة ، ونفاد المعانى السامية فى الهجاء على طول المدة ، وبلادة الحس وهوان النفس باعتياد الذم ، قد دعت الفرزدق كما دعت جريراً إلى التدرج فى الاقذاع والبذاء ، حتى خرج شعرهما فى النقائض على قوته وجودته عن الحد المألوف بين السفلة . ولكن الفرزدق مع تبذله كان يصيخ أحياناً إلى وازع الدين لتشيبه ، فيتوب عن قرض الشعر ، ويكف عن هجاء الناس ، ويقيد نفسه ليحفظ القرآن ويقول :

ألم ترنى عاهدت ربى وأننى ... لَبين رتاج قائماً ومقام
على قسم لا أشتم الدهر مسلما ... ولا خارجاً من فىّ سوء كلام

أو يجيب إلى داعى الشرف لحسبه فيصدر فى الهجاء عن طبع أبىّ ونفس كريمة ، فتسمو معانيه وتعف ألفاظه ، كقوله فى معاوية وقد حبس عنده مالاً لأحد أعمامه بعد وفاته :

أبوك وعمى يا معاوىَ أورثا ... تراثاً فيحتاز التراثَ أقاربه
فما بال ميراث الحُتات أخذته ... وميراث حرب جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الأمر فى جاهلية ... علمتَ من المرء القليل حلائبه

إلى أن يقول :

وما ولدتْ بعد النبى وأهله ... كمثلى حصانٌ فى الرجال يقاربه
وكم من أب لى يا معاوى لم يزل ... أغر يبارى الريح ما ازورّ جانبه
نمته فروع المالكين ولم يكن ... أبوك الذى من عبد شمس يخاطبه

* * *

أما الطامة الكبرى فهى جرير ، لأنه كان مرسل العنان مطلق اللسان لا يعوقه قيد ولا تكبحه شكيمة ؛ فلا هو صاحب سياسة كالأخطل ، ولا صاحب نِحْلة كالفرزدق ، ولا وارث مَجادة كالاثنين ، وإنما كان سوقياً تَرْعِيبَةً رزقه الله حدة الذهن ، ورقة الأسلوب ، وخبث اللسان ، وزاده المراشُ صلابة عود ، وغزارة فكر ، ومتانة شعر ، وسهولة قافية ، فبلغ بالهجاء الفردى والقَبَلى غايته فى الاقذاع والاقناع والقوة ؛ وربما كان أول من أكره الشعر على قبول الأساليب العامية المبتذلة فى الهجاء كذكر العورات ، وهتك المحارم ، فاضطر خصومه إلى أن يكلموه باصطلاحه ، ويقاتلوه بسلاحه ، وأصبح بعده الهجاء فى العراق لا يفعل فى النفوس إلا مشوباً بهذا القذر ؛ وما مهاجاة بشار وحماد إلا صورة من هجاء جرير والفرزدق

كان جرير لعاميته وبيئته ، والأسباب التى ذكرناها من قبل فى معرض الكلام عن الفرزدق ، يصطنع فى الهجاء أساليب الدهماء ، فيعير الأخطل بالقلف والخنزير والسكر ، ويقذف البعيث فى أمه وهى أَمَةٌ سجستانية ، ويهاجم الفرزدق فى جدته فيتهمها

(1) وهى القصيدة التى مطلعها :
لولا الحياء لهاجنى استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

بجبير القين ، وفى أخته جعثن فيرميها بابتذال بنى منقر إياها على أثر حادثته مع ظمياء بنت طلبة حفيدة قيس بن عاصم ، ويشهر بقومه فى إخفار عمرو بن جرموز لذمتهم فى قتل الزبير ، ثم يتسقط عيوبه الصغيرة وهفواته الدنيا ، فيجسمها بالمبالغة والتزيد كضربته النابية للرومى ، وزيجته الغالية من نوار

وكان الفرزدق يذهب فى هجائه مذهب الفخر بآبائه ، فيعدد أيامهم الظافرة ، ويجدد مفاخرهم البائرة ، فلا يستطيع جرير مجاراته فى هذا المضمار ، فيعمد إلى نقض الفخر الصلف بالسخرية اللاذعة والفحش الموجع ؛ وإذا أخذ جرير هذا المأخذ لا يقام له . اقرأ على سبيل المثال قصيدة الفرزدق التى مطلعها :

إن الذى سمك السماء بنى لنا   بيتاً دعائمه أعز وأطول

تجده يقول بعد هذا البيت :

بيتاً زرارة محتب بفنائه   ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم   أبداً إذا عد الفعال الأفضل

فيجيبه جرير فى نقيضته لها :

أخزى الذى سمك السماء مجاشعاً   وبنى بناءك فى الحضيض الأسفل
بيتاً يحمم قينكم بفنائه   دنساً مقاعده خبيث المدخل
قتل الزبير وأنت عاقد حبوة   تباً لحبوتك التى لم تحلل
وافاك غدرك بالزبير على منى   ومجر جعثنكم بذات الحرمل
بات الفرزدق يستجير لنفسه   وعجان جعثن كالطريق المعمل

ويقول الفرزدق :

حلل الملوك لباسنا فى أهلنا   والسابغات إلى الوغى نتسربل

فيجيبه جرير :

لا تذكروا حلل الملوك فإنكم   بعد الزبير كحائض لم تغسل

ويقول الفرزدق :

أحلامنا تزن الجبال رزانة   وتخالنا جناً إذا ما نجهل
فارفع بكفك إن أردت بناءنا   نهلان ذو الهضبات هل يتحلحل ؟
خالى الذى غصب الملوك نفوسهم   وإليه كان حباء جفنة ينقل
إنا لنضرب رأس كل قبيلة   وأبوك خلف أتانه يتقمل

فيجيبه جرير :

كان الفرزدق إذ يعوذ بخاله   مثل الذليل يعوذ تحت القرمل
واخر بضبة إن أمك منهم   ليس ابن ضبة بالمعم المخول
أبلغ بنى وقبان إن حلومهم   خفت فلا يزنون حبة خردل
أزرى بحلمهم القياس فأنتم   مثل الفراش غشين نار المصطلى

ويقول الفرزدق :

وهب القصائد لى النوابغ إذ مضوا   وأبو يزيد وذو القروح وجرول

ثم يمضي يعدد الشعراء الفحول ويقول :

دفعوا إلىّ كتابهن وصية   فورثتهن كأنهن الجندل

فيجيبه جرير :

أعددت للشعراء سماً ناقعاً   فسقيت آخرهم بكأس الأول
لما وضعت على الفرزدق ميسمى   وصنى البعيث جدعت أنف الأخطل
حسب الفرزدق أن يسب مجاشعاً   ويعد شعر مرقش ومهلهل

فأنت تلاحظ أن جريراً يرغب فى الطريق السهل ، ويطفئ حرارة الجد ببرودة الهزل ، ويقابل الكمىّ الهاجم فى سلاحه ولأمته ، وهو فى ثوب المهرج وبزته ومضحكته

وجرير قدرة بارعة على تتبع الخصم فى حياته الخاصة والعامة ، فيتسقط أخباره ويتلقط حوادثه ، ثم يعلنها فى شعره تشهيراً به وفضيحة له :

يتزوج الفرزدق من حدراء بنت زيق بن بسطام على حكم أبيها ، فيقول جرير :

يا زيق قد كنت من شيبان فى حسب   يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق
أنكحت ويلك قيناً فى استه حمم   يا زيق ويحك هل بارت بك السوق
يا رب قائلة بعد البناء بها :   لا الصهر راض ولا ابن القين معشوق

فيقبل أهلها عليه ويقولون له : ماتت ، كراهة أن يهتك أعراضهم جرير ، فيأبى جرير إلا أن يعلن الحقيقة فى قوله :

وأقسم ما ماتت ولكنما التوى   بحدراء قوم لم يروك لها أهلا

ويعبث الفرزدق فى المدينة عبث الشباب ، ويعترف بذلك فى قوله :

هما دلتانى من ثمانين قامةً كما انقض باز أقتم الريش كاسرُه

فيقول له جرير :

تدليت تزنى من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلا والمكارم

ويضرب الرومىّ فى حضرة سليمان بن عبد الملك فينبو عنه سيفه فيقول له جرير :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ومثل هذه الأخبار لطرافتها وجدّتها تعلق بالنفوس وتسير على الألسنة ، كصحف الأحزاب تجعل من حياة خصومها اليومية مادة لجدالها ، وموضوعاً لنقدها ونضالها ؛ وجرير لطول ما تمرس بالهجاء وغاص فى الخصومة ، لاذع السخرية ، فاحش الدعابة ، مر التهكم ، ومن ذلك كان يتضور الفرزدق ويتقمع لونه كلما وردت المربد قصيدة لجرير . وأى تهكم أمضّ وآلم من مثل قوله :

يا تيمُ إن بيوتكم تيمية قُعس العماد قصيرة الأطناب
قوم إذا حضر الملوكَ وفودُهم نُتفت شواربهم على الأبواب

وقوله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يامربع !

وقوله :

والتغلبى إذا تنحنح للقِرى حك استه وتمثل الأمثالا

وقوله :

نخلّ الفخر يا ابن أبى خليد وأدّ خراج رأسك كل عام
لقد علقت يمينك رأس ثور وما علقت يمينك باللجام

(يتبع)

الزيات

ظهر حديثاً كتاب :

نقد كتاب حياة محمد

للأستاذ عبد الله القصيمى النجدى

فيه بيان الأغلاط العلمية والدينية الواقعة فى كتاب هيكل (حياة محمد)

ويباع بمكاتب القاهرة وثمنه ٢٠ مليما

السنيون والشيعة

وموقفهما اليوم

للأستاذ محمد رضا المظفر

أتيح لى أن أتناول « تاريخ القرآن » للأستاذ الزنجانى أبى عبد الله ، فأقرأ فى مقدمته كلمة الأستاذ « أحمد أمين » القيّمة فى بابها . أقرأها ، فيطربنى ما فيها من نغمة متواضعة على وتر من احساس جديد ، نعرفه فى الأستاذ اليوم

ولا أكتم الأستاذ أنى رجعت إلى ذكريات اختزنت عنه من قراءتى لفجر الاسلام وضحاه . ما آلم هذه الذكرى ! فقد خلقت للأستاذ عندى شخصيتين ، تباعدتا على قرب العهد بينهما ، وكادت تدفعنى يومئذ إلى مقالة أضعها بين يديه فى « الرسالة » أو فى غيرها : لا تخرج عن عتاب برىء على كتابيه ، وعن تشجيع على كلمته الأخيرة وتأييد لها ، وهى التى أطمعتنى فيه ، لننشد صراط الاصلاح المستقيم ، ولكنى تلكأت لا لشىء ، وما أدرى لماذا كان ؟ ولعله لصلاح !

ومنذ أيام كان عدد الرسالة الـ (١١٠) فى يدى ، فقرأت كلمة الأستاذ محمد بك كرد على ، عن تاريخ القرآن ومقدمته ، فطابت لى النبرة وجربت عليها حتى تناولت القلم ، وهأنذا أحدثك وأنا شيعى أجرى مع سنيين فى ميدان الاصلاح لحظيرة الوحدة التى أقامها لنا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

شهد الله والنبى الأكرم أن من أثقل الأشياء على قلمى أن يقرن بين كلتى سنى وشيعى : يتقارنان تقارن افتراق ، ويتصلان اتصال تنافر ، كقطبى المغناطيس المتماثلين ، وقد خلقت لهما السياسة الغاشمة هذا التنافر الشائن يوم خُلقت ، وآن لنا أن نخجل أمام الله ورسوله من استمرارنا على هذا الشنآن بين أعداء تستمرّ على مطاردتنا وتستغلّ افتراقنا . وما أجدرنا اليوم أن نضرب على هاتين الكلمتين فى قاموس اللغة ، فنستريح ونُريح ، ونعود أمة اسلامية واحدة كما أرادها الرسول ، أو كما أرادها الله آمنا مطمئنة خير أمة أخرجت للناس !

يرجو الأستاذ (أحمد أمين) فى مقدمته — بعد أن ألمّ إ